لكنه، وقبل سطرين فقط، كان يهاجم استنتاج الكاتب الذي يتعارض مع معطيات حركة الهجرة اليهودية التي شهدت انحساراً كبيراً. تُرى، اذا كان الكاتب قال بعدم انحسار حركة الهجرة، فما هو مبرر حديث الكتاب نفسه عن تعليل أسباب تدنّي الهجرة؟ هل يمكن مناقشة أسباب موضوع غير مطروح اصلاً؟

وعلى القياس نفسه، يمكن مناقشة ملاحظات الزميل، الذي كنت أرجو لو انه تواضع في احكامه، خصوصاً المنهجية منها. أكثر من ذلك، لو انه لم يُنْطق الكاتب والكتاب بنصف الحقيقة فقط وتجاهل النصف الآخر، حين قال، مثلاً: «فنّد الكاتب، في الفصل الثالث 'موارد اسرائيل الاستثنائية'، جوانب هامّة من مقولة المعجزة الاقتصادية الاسرائيلية، حيث كشف، بجهد اكاديمي، معظم ما أُتيح لاسرائيل من موارد اقتصادية ضخمة لم تكن نتاج جهد اقتصادي اسرائيلي، بل جاءت بفعل معطيات واعتبارات عسكرية، وسياسية، دولية...».

كنت ارجو لو لم يستخدم الزميل المراجع ما ورد في الكتاب بشكل مشوّه. لقد فسّر الكتاب عناصر التجربة الاقتصادية الاسرائيلية، وكشف الاسباب وراء نجاحها. ما أورده الزميل صحيح؛ ولكنه جانب واحد ممّا ذكره الكاتب الذي، وبعد ان عدّد الاسهامات الضخمة للخارج، توقّف ازاء الجانب الثاني والشرط اللازم الذي لا غنى عنه أيضاً لتفسير التجربة محل الحديث، ألا وهو اسهام الداخل. وعلى هذا الصعيد، فات الزميل ان الكاتب، وقبل التحدث عن اسهامات الخارج، كان تحدث عن دور الداخل، خصوصاً لناحية الاطار السياسي الملائم الذي تمّ في ظله الاداء الاقتصادي، و«من دونه ما كان لشيء ان يتمّ على الصورة التي حدثت» (راجع ص ٨٠ من الكتاب).

وكي لا يتحوّل التفسير الى تفنيد، وكي لا يحال كل شيء للخارج، وضعت خاتمة تؤكد استثنائية الموارد، حجماً ونوعاً: «ولكن ذلك يجب ان يفهم بعيداً عن المنطق الذي يحيل كل شيء الى الخارج والموارد التي تدفّقت منه. فتلك الموارد اكتسبت قيمتها من خلال الدينامية الداخلية التي استطاعت ان تحسن استثمار الموارد المتاحة...» (ص ١٠٥ من الكتاب).

ثمّة ملاحظات اخرى، كما سبقت الاشارة، لن أتناولها، اعتقاداً مني بأن ما تقدّم من نقاش وملاحظات يصحّ قياساً لتقويمها ووجهة نظري بها.

د. حسين ابو النمل